العدد الـ 64 - مارس 2026 - 24 صفحة

القبس الثقافي
ARTs & CULTURE

فاضل خلف
«أحلام الشباب» وارتباكات المرحلة

مئة عام على كتاب «تاريخ الكويت»

◄ الآداب العالمية وإنقاذ الإنسان من العزلة والتشظّي

◄ مأزق الأجوبة الجاهزة تحرير «الشرّ» من الجدل

◄ وولف فون لينكيفيتش.. إعادة تصوير الفن

القبس الثقافي
العدد الـ 64 - مارس 2026 - 24 صفحة

دراسة وثائقية - تحليلية تَتَبّع بدايات مشروع الشيخ عبدالعزيز الرشيد

مرور مئة عام على كتاب «تاريخ الكويت» (1926 - 2026)

طارق عبد الله العيدان

حين بدأ الشيخ عبد العزيز أحمد الرشيد البداح تدوين كتابه «تاريخ الكويت»، لم يكن يفكّر في مئوية تُحتفى، ولا في نصٍّ سيُقرأ بعد قرن كونه المرجع الأول لذاكرة البلاد. كان يكتب لأن الصمت كان أثقل من الاحتمال، ولأن التاريخ، إذا لم يُمسك به أحد، ينفلت من بين الأصابع ويُعاد كتابته على يد غير أهله. في بلدة صغيرة، بإمارة محاطة بجيران يختبرون ضعفها قبل أن يعرفوا، لا كمن يصنع مجداً شخصياً.

الخروج عن المألوف

لم يكن الطريق ممهَّداً، ولا المجتمع رحيماً بمثل هذا الفعل. كان مجتمعاً ضيق الأفق، تثقل عليه الأسئلة، ويُربكه كل خروج عن المألوف. غير أن الشيخ عبد العزيز لم يقبل أن يكون ابن هذا الضيق. لم يهادن الجهل، ولم يتكيّف معه، بل غادره. حمل أسئلته ومضى إلى العراق، ثم إلى الاستانة، ثم إلى مصر، لم يكن طلباً لشهادة تزيّن اسمه، وإنما باحثاً عن معنى وأفق أوسع مما أُتيح له أن يراه في بداياته. كان تمرده هادئاً، بلا ضجيج، لكنه عميق، تمرد رجل قرر أن المعرفة حق، لا ترف، وأن التاريخ لا يُترك للمصادفة. (1)

وعندما عاد، لم يعد كما ذهب. عاد مثقلاً بما رآه، وبما عرفه، وبما صار يعرف أنه لا يمكن تأجيله. فكتب. كتب في زمنٍ لم يكن فيه التدوين عادة، ولا التأريخ مهنة، ولا المجتمع متصالحاً مع من يضع الماضي على الطاولة. كتب وهو يدرك أن ما يفعله قد لا يُرحَّب به، وقد لا يُقرأ، وقد يُضيَّق عليه. ومع ذلك كتب، لأن الكتابة عنده لم تكن خياراً، بل ضرورة.

واليوم، بعد مئة عام، لا يُحتفى بالشيخ عبدالعزيز لأنه كتب تاريخ الكويت فحسب، بل لأنه كتب في الوقت الذي كان فيه الامتناع أسهل، والصمت أكثر أماناً. كتب لأن عليه أن يكتب، لا لأن أحداً طلب منه ذلك. ومن هنا بدأ التاريخ الكويتي المكتوب، قال الكلمة الأولى، وترك لمن بعده أن يختلفوا، ويصححوا، ويضيفوا، لكن من داخل النص، وليس من خارجه.

النهج والمصادر

تقوم هذه الورقة البحثية على المنهج الوثائقي التحليلي، وتتتبّع بدايات مشروع الشيخ عبد العزيز الرشيد في كتابة تاريخ الكويت، وردود الفعل التي أثارها الكتاب عند صدوره، اعتماداً على مادتين رئيسيتين:

1. الإشارات المعاصرة لبدء التأليف قبل النشر، كما ترد في الصحافة العراقية عام 1921، بما يكشف الطابع المبكر والمنهجي للمشروع قبل ظهوره مطبوعاً.
2. مواد التغطية والتعقيب المنشورة في صحيفة «الشورى» الصادرة من القاهرة، والتي توثّق -على الأرجح- إحدى أولى المساجلات الصحافية بين كويتيين عبر وسيلة اتصال جماهيرية خارجية، في سياق سجال امتد بين ما نُشر في صحيفة «فتى العرب» وما قابله من ردود في «الشورى».

أولاً: متى بدأ الرشيد مشروعه؟

قد يتساءل البعض: كيف بدأ عبد العزيز الرشيد كتابة تاريخ الكويت؟

تدل روايات معاصرة على أن الرشيد أفصح مبكراً عن عزمه الشروع في هذا العمل، وأشار إليه صراحة في حديثه مع أحد أصدقائه عام 1921 -أي قبل صدور الكتاب بخمسة أعوام- ويذكر الكاتب (م.ع. كمال الدين) (2) في هامش مقال نشره في صحيفة «العراق» بعنوان «مدينة الكويت وإماراتها» ما نصه:

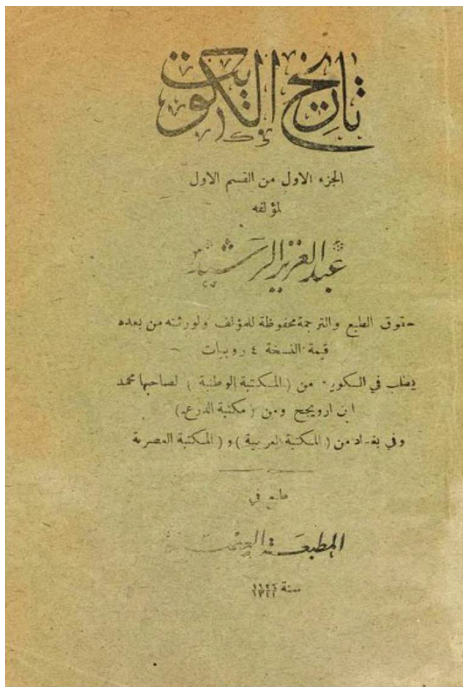

«تاريخ الكويت» - الطبعة الأولى 1926

«وقد أخبرنا صديقنا الفاضل الشيخ عبد العزيز الرشيد أنه كتب قسمًا من تاريخ الكويت، كما جمع وألف الوقائع التي حدثت مع الإخوان جنود ابن سعود أمير نجد، ونقل لي أن المرحوم السيد عبد العزيز الطبطبائي -محرر جريدة الدستور البصرية- كتب قسمًا من تاريخ الإمارة والمدينة، ولعل أخاه الأديب السيد عبد الوهاب يحتفظ بذلك التاريخ». (3).

لا تُعد هذه الإشارة المبكرة تفصيلاً عابراً، بل تكشف بوضوح أن تاريخ الكويت لم يكن عملاً ارتجالياً أو استجابة ظرفية لحدث طارئ، وإنما مشروعاً فكرياً تبلور في ذهن صاحبه على مهل، ونضج عبر سنوات من التفكير والجمع والمقارنة والمراجعة، قبل أن يرى النور مطبوعاً عام 1926.

ثانياً: لماذا طُبع الكتاب في بغداد؟ وما مصادره؟

ولعل اختيار الشيخ عبد العزيز الرشيد مدينة بغداد، وتحديداً المطبعة العصرية، لطباعة عمله الأول، كان خياراً عملياً فرضته الجغرافيا والخبرة الشخصية. فالعراق كان أقرب إليه من مصر، وأكثر ألفة بحكم تردده عليه في شؤون التجارة ومعرفته ببيئته ومطابعه.

أما عن مصادره، فإن الشيخ عبد العزيز استقى جانباً من معلوماته من رئيس الكُتّاب في حكومة الكويت ملا صالح بن محمد الملا، وذلك بتكليف من حاكم الكويت الشيخ أحمد جابر الصباح، الذي قدّم دعمه لهذا العمل، وهو ما عبّر عنه الرشيد صراحة بتقديم الشكر له في مقدمة الكتاب. (4)

- من هنا بدأ التاريخ الكويتي المكتوب.. لم يكن يفكّر في مئوية تُحتفى ولا في نصٍّ سيُقرأ بعد قرن كونه المرجع الأول لذاكرة البلاد
- قال عبدالعزيز الرشيد الكلمة الأولى وترك لمن بعده أن يختلفوا ويصححوا ويضيفوا.. لكن من داخل النص.. وليس من خارجه
- في بلدة صغيرة.. جلس الرشيد إلى الورق كمن يحرس ذاكرة مهددة.. لا كمن يصنع مجداً شخصياً
- كان تمرده هادئاً وعميقاً.. تمرد رجل قرر أن المعرفة حق لا ترف.. وأن التاريخ لا يُترك للمصادفة
- كتب في زمنٍ لم يكن فيه التدوين عادة ولا التأريخ مهنة ولا المجتمع متصالحاً مع من يضع الماضي على الطاولة

- الرشيد أفصح مبكراً عن عزمه الشروع في هذا العمل.. وأشار إليه صراحة في حديثه مع أحد أصدقائه عام 1921
- تاريخ الكويت لم يكن عملاً ارتجالياً أو استجابة لظرفية لحدث طارئ.. بل مشروعاً فكرياً شاملاً
- تبلور المشروع في ذهن الرشيد على مهل ونضج عبر سنوات من التفكير والجمع والمقارنة والمراجعة
- «تاريخ الكويت» خرج إلى العلن عبر الصحافة قبل أن يدخل البيوت في الكويت بصورته المطبوعة.. وهو ما يعني أن صداه سبق حضوره المادي
- منذ الإعلان عن صدوره.. بدأ صدى الكتاب يتردد في المجتمع المحلي.. حتى قبل أن تصل نسخ الطبعة الأولى إلى الكويت

صحيفة الشورى، السنة الثانية، العدد 112 الموافق 30 ديسمبر 1926

صحيفة الشورى، السنة الثالثة، العدد 113 الموافق 6 يناير 1927

إلى جانب ذلك، اعتمد الرشيد على معايشته الشخصية للأحداث، لكونه شاهداً على مرحلة مفصلية من تاريخ الكويت، فقد وُلد عام 1887 ميلادية، وعاصر عدداً من حكامها، من الشيخ عبد الله بن صباح حتى الشيخ أحمد الجابر الصباح. وشهد خلال ذلك وقائع بارزة، من بينها حادثة الشيخ مبارك مع القوة العثمانية والسفينة «زحّاف» عام 1901، و«هجرة الطواويش» عام 1910، وموقعة «حَمْض»، ومعركتا «الجهرة» و«الرقعي»، فضلاً عن وفاة الشيخ سالم المبارك الصباح وما أعقبها من تقديم الوثيقة التاريخية عام 1921 للمطالبة بإقامة مجلس الشورى، الذي كان الرشيد أحد أعضائه.

ثالثاً: صدى الكتاب قبل وصوله إلى الكويت

عقب الانتهاء من مراجعة الكتاب وتحقيقه، بدأ خبر «تاريخ الكويت» يتداول في الصحافة العربية خارج الكويت، وهو ما تعكسه الإشارة التي نشرتها صحيفة الشورى، إذ أوردت في عددها الصادر بتاريخ 14 مايو 1926 الخبر الآتي نصه:

«علمنا أن الأديب المحقق السيد عبد العزيز الرشيد من أفاضل الخليج... قد ألف تاريخاً كبيراً للكويت، وسيطبع قريباً».(5)

كما نشرت الصحيفة موضوعاً بعنوان «متى تأسست الكويت؟»، أشارت في مقدمته إلى كتاب تاريخ الكويت للشيخ عبد العزيز، «الذي يطبع الآن في بغداد»، وبمقارنة المتن المنشور بالطبعة الأولى من الكتاب يتضح أن المنشور يقارب، من حيث الحجم والمضمون، ما يعادل نحو ثلاث صفحات من نص الكتاب. (6)

أمّا عن موعد صدوره، فقد أعلنت «الشورى»، في عددها الصادر بتاريخ 9 يوليو 1926، صدور كتاب تاريخ الكويت رسمياً. (7)

وهنا تجدر الإشارة إلى أن «تاريخ الكويت» خرج إلى العلن عبر الصحافة قبل أن يدخل البيوت في الكويت بصورته المطبوعة، وهو ما يعني أن صداه سبق حضوره المادي، الأمر الذي يشكل مفتاحاً مهماً لفهم طبيعة الجدل الذي تلا صدوره.

رابعاً: رسائل من خارج الكويت تكشف «صدمة الداخل»

منذ الإعلان عن صدوره، بدأ صدى الكتاب يتردد في المجتمع المحلي، حتى قبل أن تصل نسخ الطبعة الأولى إلى الكويت. ويبدو أن الشيخ عبد العزيز لم يمتلك من تلك الطبعة سوى عدد محدود من النسخ، أهداها إلى دائرته الضيقة من المقربين.

وفي هذا السياق، نقلت «الشورى» رسالة بعث بها الأديب عبد الله علي الصانع -المقيم في دبي- إلى رئيس تحرير الصحيفة بتاريخ 9 سبتمبر 1926، عبّر فيها عن موقفه من ردود الفعل التي أثارها صدور «تاريخ الكويت» في الكويت، ودافع فيها عن مؤلفه عبد العزيز الرشيد دفاعاً قوياً. وجاء في الرسالة ما نصه:

«حضرة الفاضل رئيس تحرير الشورى، حتى الآن يا سيدي ونحن نتخبط في غسق الجهل. ففي الوقت الذي تحاول فيه الشعوب الحية الصعود إلى قمم المجد نسقط نحن الكويتيين، ويا للأسف، إلى الحضيض الأسفل من الغباوة والخمول. وما هذا إلا من طاعتنا العمياء لمن أخذوا على أنفسهم مناوأة الأساتذة المصلحين ومحاربة العلوم.. فلا يبتغون غير المكث على التقديم الضار المنافي لروح هذا العصر الذي نحن فيه مفتقرون للعلماء والعاملين والأدباء النابهين.

وإني أخبركم والأسف ملء قلبي خبر الضجة التي حدثت عند ورود التاريخ الذي أصدره الأستاذ الجليل عبد العزيز الرشيد، وذاك لانتقاده بعض حملة العمائم الذين جعلوا الدين شركا يصطادون به. وهم لعمر الذين بكى منهم الإمام محمد

الظهور الكويتي المبكر في «الشورى»

يكشف تتبع أعداد صحيفة «الشورى» عن حضور كويتي مبكر ولافت في صفحاتها، يتقدّمه الشيخ عبد العزيز الرشيد، الذي نشر فيها ثلاث مرات تقريباً باسمه الصريح عام 1925، الأولى تناولت تغطيته لزيارة الزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي، والثانية خُصِّصت لأحوال ومصائب الغواصين في ذلك العام، والثالثة جاءت في سياق آخر يؤكد طبيعة حضوره المنتظم في الصحيفة. ويعكس هذا التكرار دلالة واضحة على وجود تواصل بين الرشيد وهذه الصحيفة ورئيس تحريرها.

عبده (رض)، فأكبر القوم هذا الانتقاد، وأخذهم منه المقيم المقعد لهؤلاء الذين لم يكونوا بزعمهم الأوردة الأئمة.
وأخذوا يصبون على المؤلف جام اللوم والتثريب، لقد أخطأ قومنا الصواب وتنكبوا سواء السبيل. أفلا جعلوا موضع لومهم وتثريبهم شكراً وثناءً على هذا الوطني الغيور الذي يحق لنا أن نتغنى به، ونرفع قدره جواء ما أجهد نفسه طول هذه المدة التي ليست بالقليلة من أجلنا؟ كيف لا يستحق الشكر وهو الوحيد الذي أظهر للكويت وأبنائها لما من عالم التاريخ.
وما ذاك إلا أنه لم يذكر لهم شيئاً من المدح، لأنهم يجنون على الآداب بادعائهم معرفتها (وأين الثريا من يد المتناول) على أن الأولى للمدعين أن يغضوا من أبصارهم ويلجموا ألسنتهم. فإن سفسطة انتقادهم لا تخفى من حسنات الأستاذ التي يكبأ في ميدان سردها البراع شيئاً.
فرجائي من المنتقدين أن ينزعوا عن فكرتهم ويزيلوا الغل من قلوبهم. كما أنني لا أنسى أنه موطني وأن الواجب يدعوني لأن أحفظ له في أعماق قلبي أحسن الذكرى وأطيبها جزاء ما أسداه نحو وطني من جميل الذكر. ولهذا فأكرر جزيل شكري له وحسن ثنائي عليه. إمضاء دبي... عبد الله بن علي الصانع». (8)

الانـقـسـام الـبـنـيـوي

كشفت رسالة عبد الله بن علي الصانع عن استمرار الانقسام البنيوي داخل المجتمع الكويتي في تلك المرحلة، وهو انقسام تبلور منذ دخول العلوم التطبيقية الحديثة إلى النظام التعليمي من بوابة المدرسة الأحمدية عام 1921. ويمكن - في سياق تلك الحقبة - وصف هذا الانقسام بثنائية «التنوير» و«الجمود»، باعتبارهما تعبيرين عن اختلاف داخل الخطاب الديني حول حدود التعامل مع العلوم الحديثة.
ويبدو أن صدور تاريخ الكويت أسهم في تصعيد هذا الانقسام والتوتر، إذ أشار عبد الله بن علي الصانع إلى أن الشيخ عبد العزيز الرشيد وجّه نقده إلى بعض أصحاب العمائم، في إشارة إلى فئة من العلماء.
ولم تقتصر أصداء صدور كتاب التاريخ للشيخ عبد العزيز على ما نُشر في عدد واحد من صحيفة «الشورى»، بل تلقت الصحيفة، خلال الأسابيع اللاحقة، رسائل وتعقيبات متعدّدة واردة من الكويت، نقلت ردود فعل بعض الشخصيات العامة آنذاك على الكتاب ومضامينه.
المناخ الثقافي والاجتماعي لاستقبال الكتاب
وعكست هذه المواد المواقف في الكويت ما بين مؤيد ومدافع، وناقد ومعترض، وهو ما دفع الصحيفة إلى نشرها تباعاً فور تلقيها. وفي ما يلي عرض لأبرز هذه الردود، وتعود أهميتها لكونها تسهم في فهمنا للمناخ الثقافي والاجتماعي الذي استُقبل فيه الكتاب عند صدوره.
ففي 30 ديسمبر 1926، نشرت «الشورى» مقالاً بعنوان: «حول تاريخ الكويت» مذيلاً باسم «كويتي متحمس»، نقلت فيه ما يلي:
«كشف هذا التاريخ النقاب عن أقوام لعبوا بعقول الكويتيين وأفكارهم زمناً ليس بالقصير، قوم اندسوا بين الناس للإفساد والتضليل. وسعوا لاقتناص مآربهم بشتى النهج والطرق فضربهم التاريخ بضربات أطارت منهم الألباب. وزعزعت منهم العقول وأوقعتهم في أمر مريج حتى أصبحت الدنيا عليهم أضيق من سم والفضا الواسع عليهم كنفس السجين. أصبحوا إذا ما مشى أحدهم يخال الجدران يرمقه بعيون السخط والأبواب تلمحه ببصر الغضب والشوارع تخاطبه على قبيح أعماله خطاب المقرع المليم.
إذا فلا عجب إذا ما أثاروا العواطف حوله مهددين لصحابه بالقتل تارة وبالضرب أخرى، ولا غرابة إذا ما استثاروا عواطف الجهال والغوغاء ضده فملأوا الكويت صياحاً بشعرهم الغث ونظمهم المعجوج وانتقادهم البارد، لا غرابة ولا عجب فالتاريخ أعدمهم الرشد وأضاع منهم اللب حتى ظلوا يهرفون بما لا يعرفون، ومحاصرين بما يأخذه الخصم سلاحا يقاتلهم به، وحجة يجز بها عنق براهينهم التي بها يستبدلون.
كانوا يظنون أن صاحبهم ممن تخيفهم الإرهابات أو تخنعهم التهديدات، ولكنهم أخطأوا فيما كانوا يظنون فلم يبال بصياحهم ولم يكترث بوعيدهم يمشي ولسان حاله يقول:

إن قومي تجمعوا
وبقتلي تحدثوا
لا أبالي بجمعهم
كل جمع مؤنث

لقد أخفقت مساعيكم أيها الصاخبون وحق لها أن تخفق وعلى أريكة الحكم في الكويت ذلك الأمير الجليل والحاكم العاقل أميرنا المحبوب الشيخ أحمد بن جابر آل الصباح، الذي أولى من الحلم والأناة ما بذيهما كثيراً من أقرانه، والذي يعرف قدره في ذلك القريب والبعيد، لا سيما من ابتلاه الله بكم أيها المتعجرفون، طالبتموه ولحفتم عليه بالسؤال في عقابه من دون حجة ولا برهان، فأبتم والحمد الله من حضرته بالخيبة والفشل لابسين رداء الذلة والخذلان، مهلاً مهلاً أيها الأغنياء فليس في استطاعتكم إخماد جذوة الحق المتقدة، ولا إطفاء مصابيح الهدى المستنيرة، مهلا أيها المتغطرسون فقد تقوضت خيامكم، وهبطت أسعاركم، ودار الزمان عليكم دورته، وعما قريب ستذريكم عواصف الحق وتحرقكم صواعق العدالة، وينادي عليكم بسوق الإنصاف بأن قد خذلتم ووليتم الأدبار.

No. 397
AL 'IRAQ
A DAILY ARABIC NEWSPAPER
العراق
BAGHDAD MONDAY, 12th SEPTEMBER 1921

صحيفة العراق، السنة الثانية، العدد 397 الموافق 12 سبتمبر 1921

خففوا من غلواتكم التي ناطحتم بها السماء وطاولتم الجوزاء، ولا تنخدعوا بملايينكم، ولكوككم ولا تغتروا بأموالكم وثروتكم فقد مضى عصركم المظلم، وجاء عصر العلم والنور، عصر الحرية والصراحة، جاء العصر الذي لا أُبَّهَةَ فيه لغير الفضل والأدب، ولا فخر إلا للمهرولين في نصرة الحق.
ماذا تريدون أيها المهوهون من هذه الصحيات التي أثرتموها الآن، التاريخ جابهكم بالحق الصريح. وصارحكم بالحقائق الراهنة، وأوقفكم على ما كنتم تخفون من غش وخداع أم لأغراض سافلة في نفوسكم تودون بلوغها من صاحبكم.
حقاً أنكم تحاولون عبثاً بأدواركم التي مثلتموها وأنكم لتقولون برز عيانكم منكراً من القول وزورا. ارفقوا بأنفسك قبل ان تفضح أمركم ونجلي للناس حقائق أعمالكم التي بها تدلسون. -إمضاء- الكويت كويتي متحمس». (9)
أوضحت رسالة «كويتي متحمس» أن الانتقادات التي وُجِّهت إلى «تاريخ الكويت» لم تقتصر على مضمون الكتاب أو على مؤلفه، بل تجاوزت ذلك إلى استهداف شخص الشيخ عبد العزيز الرشيد، إلى حد التهديد اللجوء إلى الهجاء الشعري المنظوم في هذا السجال.
كما كشفت الرسالة أن دائرة المعترضين لم تعد محصورة في بعض علماء الدين، بل اتّسعت لتشمل فئات أخرى، من بينها الغوغاء وبعض التجار.
ويُفهم موقف بعض التجار، في ضوء ما أورده الرشيد في كتابه من عرض تفصيلي لواقعة هجرة الطواويش من الكويت، وما تضمّنته من حوار حادّ جرى في مجلس حاكم الكويت بين الشيخ مبارك بن صباح الصباح والطواويش، الأمر الذي نقل تلك الواقعة من حيّز التداول الشفهي المحدود إلى فضاء التدوين العلني التوثيقي، بما مسّ المكانة الاجتماعية لبعض الأطراف المعنية بها.
وأبرزت الرسالة سعي أطراف متعددة متضرّرة مما ورد في «تاريخ الكويت» إلى تحريض الحاكم على إنزال العقوبة بالشيخ عبد العزيز، وهو ما لم يستجب له. وهو ما يجعل المقال وثيقة دالّة على الكيفية التي تحوّل بها الكتاب سريعاً من عمل تاريخي إلى اختبار للنفوذ الاجتماعي وحدود الهيبة والمكانة، ولم يعد مجرد نقاش حول روايات الماضي أو مدى دقّتها.

مـنـع كـتـاب «الـتـاريـخ»

ويتواصل في العدد التالي عرض وقائع هذا الجدل، مع نشر ردود إضافية وردت إلى صحيفة «الشورى» من الكويت، بما يتيح تتبّع مسار التفاعل الذي صاحب صدور الكتاب في أشهره الأولى.
وفي 6 يناير 1927، نشرت الصحيفة مقالًا بعنوان «ماذا في الكويت؟»، مذيلاً بتوقيع «وطني غيور» وما يلي نصه:
«تهون كل الصيحات التي أثارها المغرضون حول تاريخ الكويت سواء أكان منشئها الحسد لصاحب التاريخ أو العداوة الشخصية له أو مخالفته لهم في الرأي والفكر والعقيدة والمشرب، تهون كل تلك الصيحات، وقد لا تكون لها أهمية تذكر أمام صيحة واحدة حاول مثيروها ضرب الحرية في الكويت على أم رأسها وإزهاق روحها الطاهرة. صيحة هي في جبين تاريخ الكويت نقطة سوداء لا تمحى ولا تزول.. وستلبس أهلها ثوبا من العار أسود قاتماً.
لو كانت هذه الصيحة لحق هضم أو شرف دنس أو عرض مصون هتك [كذا في الأصل] والهوى لكان للصالحين سعة من العذر. ولكان لهم مبرر

احتضان «الشورى» لموهبة خالد محمد الفرج

يُعَد الشاعر خالد محمد الفرج أحد أبرز الكويتيين الذين راسلوا صحيفة «الشورى» وأسهموا في صفحاتها، وقد آمن رئيس تحريرها محمد علي الطاهر بموهبته الشعرية، ومنحه مساحات واسعة لإبراز تجربته، حتى أطلق عليه لقب «شاعر الخليج»، ونشر له بكثافة طوال فترة إقامته في البحرين. ولم يقتصر هذا الاحتضان على النشر الصحافي، بل تجاوزه إلى تمثيل الطاهر للفرج والنادي الأدبي بالبحرين خلال حفل تكريم الشاعر أحمد شوقي عام 1927، بما يعكس مكانته في الوسط الثقافي العربي آنذاك. (13)

أمام الله والناس أجمعين. لكنها ويا للأسف صيحة في مناوئة الحق والشرف وضد العدالة والإنصاف، حمل وزرها قوم دب التعصب في عروقهم ومفاصلهم وأعمى الهوى أبصارهم وبصائرهم. قوم لم يألفوا إلا المدح والإطراء حتى لمن أخذوا بناصره ولو غار على صروح الحرية والإصلاح بمعاول الهدم والتخريب.

التعصّب والتضليل

لقد هال أولئك القوم أن يذيع تاريخ الكويت على رؤوس الملأ من تلاعب هذا الرجل ما سمعت وأن يشرح من تعصباتهم المعقوبة التي رمى بذورها في عين الحق قذى وفي حلق الدين شجا تعصبات يندى لها جبين الإنصاف حياء. تضليل وتعسيف واستحلال للأعراض والدماء.

نادى أحد زعاقهم بقوله «ان قتل ثلاثة من أهل الكويت ثمن لدخول الجنة: الشيخ يوسف بن عيسى الجناعي، والشيخ عبد العزيز الرشيد، والشيخ صقر بن سالم الشبيب»، وقال أحد جهلائهم عن شاعر الكويت الفاضل «قد كنت شاكاً في تدهره وإلحاده أما الآن فقد اتضح لي ذلك».

أما موقف سمو أمير الكويت المعظم أمام هاتيك العواصف، فموقف شريف يوجب الإعجاب بغيرته على العلم والأدب، والإطراء لحميته على الحق وأهله. موقف دلّ على مبلغ ميله للأخذ بعضد الحرية ورغبته في انقاذها من مخالب الجور والاعتداء ورفعها بيد الرفق [كذا في الأصل] السعادة والهناء. موقف إن لطلق الأقلام بتقديره ويشكره عليه فلا قيل لها في ميدان السباق عثار.

كان سموه في الوقت الذي تألب فيه أهل الإغواء في الكويت وطلبوا منه أن ينزل عقابه القاضي بمؤلف التاريخ... وكان سموه قد وقف مدافعاً عن الحق ومنتصراً للحقيقة، ضاحكاً في سره على أولئك القوم الطائشين وعلى أحلامهم الضعيفة ولمَ لا يضحك وهو يعلم أن تلك الضحكات لم يحركها إلا بخار التعصب والجهل ولم يمل علمها إلا ضبع الطيش والغرور.....

وقد جاء هذا العمل من مسوه حجة قاطعة على محبته لهناء قومه وراحتهم وعلى حصافة عقله وسداد رأيه في معضلات الأمور فليحي الأمير للعلم والادب وليحي للحق ذويه. -إمضاء- الكويت وطني غيور.

(الشورى – عن كل مصاب يهون إلا العبث بكتب التاريخ....)». (10).

وبذلك يتضح أن السجال الذي أثاره «تاريخ الكويت» لم يكن خلافاً معرفياً محدوداً حول مضمون كتاب أو دقّة رواياته، بل مساراً تصاعدياً انتقل من النقد والاعتراض إلى التحريض، ثم إلى التلويح بالعنف، بما كشف هشاشة التوازن القائم بين المعرفة والهيبة داخل المجتمع آنذاك. وفي مواجهة هذا الانزلاق، اضطلع الحاكم بدور حاسم في ضبط الإيقاع ومنع تفجر الفتنة، فصدر الحكم لاحتواء هذه الفتنة بما يرضي الأطراف المتنازعة.

إخماد الفتنة نهائياً

وفي ظل تعذّر الوصول إلى النص الأصلي للمقال الذي نُشر في صحيفة «فتى العرب» تحت اسم مستعار «كويتي منصف»، مهاجماً كتاب تاريخ

الكويت عقب صدور الحكم الرسمي في القضية خشية الفتنة، تظلّ المقالة التي نشرتها صحيفة «الشورى» الصادرة من البصرة، والموقّعة باسم «منصف الحقيقة»، مصدراً مهماً لفهم طبيعة هذا الهجوم وحدوده وخلفياته. فالنص لا يكتفي بالرد على مضمون النقد، بل يكشف عن السياق الاجتماعي والسياسي الذي دار فيه الجدل، ويقدّم رواية معاصرة لكيفية توظيف الاتهامات القبلية والدينية في محاولة النيل من الكتاب ومؤلفه، كما يوثّق موقف السلطة من الأزمة وتحوّلها من المنع إلى التريّث ثم الإذن بالنشر. وفي ما يلي نص المقال كما ورد في الصحيفة:

«لا أريد مناقشة «كويتي منصف» في جميع نقط مقالته التي نشرها في جريدة «فتى العرب» رداً على ما في جريدة الشورى الغراء دفاعاً عن تاريخ الكويت، ولا أبحث عن المحرك الأصلي لذلك «المنصف» أهو غيرة صادقة على من انتصب مدافعاً عنه أم لدريهمات صبت في جيبه صباً أم تقرباً إلى مولاه الذي يؤمل منه ما يدفع به غائلة الفقر والمسغبة، كل هذا لا يهمني أكثر من خدمته الحقيقة، ولولا ما في المقال من الكذب الصراح على ذلك التاريخ الذي سد فراغاً في تاريخ الأمة العربية، لما حركت ساكن القلم ولا أطلقت لليراع العنان وسأوجز الرد إيجازاً تاركاً التفاصيل إلى فرصة أخرى.

الحكم على التاريخ

عندما أوشك تنفيذ الحكم الذي أصدره «عظمته» أشيع أن مخلوقاً في الكويت سود أوراقاً في الرد على التاريخ وصاحبه، وانتقد فيها ثلاثة من رجال الكويت بالكذب والبهتان، وأشيع أيضاً أن ذلك «المخلوق» سيطبع رده قريباً. هناك رأى سمو الأمير المعظم أن تنفيذ الحكم على التاريخ، والالة هذه اجحاف بحقه وبحق صاحبه، فأصدر أمره بألا يمس التاريخ بسوء، وقال انه سوف يأذن بنشره في القريب العاجل سالماً من كل نقص، وقد بلغ المؤرخ أمر سموه في وقته، وقد وصلت إلينا هذه الأخبار، ونحن في البصرة من القادمين من الكويت، ومن كتب جاءتنا من بعض الأصحاب هناك فأين هذا كله بما قاله «منصف» الذي أساء الحقيقة والتاريخ بتهجماته ومغالطا إلا فليتق الله ربه ولا يبخس الناس أشياءهم وليعلم هو وأنصاره أن للحق أنصاراً لا تلين قناتهم لغامز، وأنهم سوف يقفون بالمرصاد لكل منافق مخادع. -إمضاء- البصرة (منصف الحقيقة)

(الشورى- نرجو من حضرة الكاتب ان يوجز في جميع مقالاته وأن يجعل خطه مما يمكن لغيره أن يقرأه!)». (11)

الإفراج عن الكتاب

ويتّضح أن السجال حول تاريخ الكويت لم يعد مقتصراً على مضمون الكتاب ذاته، بل تجاوز ذلك إلى تبعاته الاجتماعية، وحدود النقد المقبول، ودور السلطة في الموازنة بين حرية التعبير والحفاظ على السلم الأهلي. وفي هذا السياق، شكّل التراجع اللاحق عن الدعوات إلى تمزيق الكتاب أو إتلافه تحوّلاً مهماً في مسار القضية، إذ عكس إدراكاً متأخراً لمخاطر التصعيد، وفتح الباب أمام مرحلة اتجهت فيها الأزمة نحو الاحتواء بدلاً من المواجهة.

إلا أن هذا التحول جاء متأخراً بالنسبة إلى الشيخ عبد العزيز الرشيد لجني ثماره، إذ اضطر في العام ذاته إلى مغادرة الكويت إلى البحرين، ولم يُقدَّر له أن يرى كتابه متداولاً في بلده. فقد أُفرج عن كتاب تاريخ الكويت بقرار من مجلس الأمة التشريعي الأول في جلسته المنعقدة يوم الأحد 9 رجب 1357هـ، الموافق 3 سبتمبر 1938، برئاسة نائب رئيس المجلس الشيخ يوسف بن عيسى القناعي. وبموجب هذا القرار، وُجّه كتاب إلى مدير الجمرك البحري بفسح تداول الكتاب وتسليمه إلى ورثة مؤلفه، وذلك بعد وفاته بسبعة أشهر. (12)

ولعل من دلالات المفارقة التاريخية أن يكون الشيخ يوسف - وهو من أصدقاء الرشيد والمدافعين عن كتابه - هو من ترأس الجلسة التي تقرر فيها الإفراج عن تاريخ الكويت، بما يختزل مسار السجال من الرفض والتضييق إلى الإقرار والاحتواء.

وبذلك أغلقت إحدى أكثر القضايا الثقافية حساسية في تاريخ الكويت الحديث، بعد أن تجاوزت الكتاب ذاته لتلامس حدود النقد، ودور السلطة، ومسألة التوازن بين المعرفة والنظام العام.

الهوامش

(1) للمزيد عن الشيخ عبد العزيز الرشيد انظر:
أ. عبد الفتاح مليجي، الصحافة وروادها في الكويت.. عبد العزيز الرشيد وثلاث مجلات، شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، الطبعة الأولى، 1982.
ب. الدكتور يعقوب يوسف الحجي، الشيخ عبد العزيز الرشيد سيرة حياته، مركز البحوث والدراسات الكويتية، 1993.
ت. الدكتورة فتوح الخترش، دراسة بعنوان: «ظاهرة التنقل في حياة عبد العزيز الرشيد»، مجلة عالم الفكر، المجلد الحادي والعشرون، العدد الرابع، ابريل-مايو-يونيو 1993، وزارة الإعلام، الكويت، من الصفحة رقم 98 إلى الصفحة رقم 135.

(2) يرجح أنه الكاتب محمد علي كمال الدين (1900 - 1966)، وهو أديب وكاتب عراقي.

(3) صحيفة العراق، السنة الثانية، العدد رقم 397، 12 سبتمبر 1921، الصفحتان رقم 1، والرقم 3.

(4) الشيخ عبد العزيز الرشيد، تاريخ الكويت، المطبعة العصرية، العراق، الطبعة الأولى، 1926، الصفحة رقم 225.

(5) صحيفة الشورى، السنة الثانية، 14 مايو 1928، الصفحة رقم 4.

(6) صحيفة الشورى، السنة الثانية، العدد 85، 18 يونيو 1926، الصفحة رقم 2، انظر: الشيخ عبد العزيز الرشيد، تاريخ الكويت، المطبعة العصرية، العراق، الطبعة الأولى، 1926، من الصفحة رقم 10 إلى الصفحة رقم 12.

(7) صحيفة الشورى، السنة الثانية، العدد 87، 9 يوليو 1926، الصفحة رقم 4.

(8) صحيفة الشورى، السنة الثانية، العدد رقم 96، 9 سبتمبر 1926، الصفحة رقم 3.

(9) صحيفة الشورى، السنة الثانية، العدد رقم 112، 30 ديسمبر 1926، الصفحة رقم 2.

(10) صحيفة الشورى، السنة الثالثة، العدد رقم 113، 6 يناير 1927، الصفحة رقم 3.

(11) صحيفة الشورى، السنة الثالثة، العدد رقم 151، 13 أكتوبر 1927، الصفحة رقم 4.

(12) يوميات مجلس الأمة التشريعي الأول (الدورة الأولى)، د. عادل العبد المغني، الطبعة الأولى، 2020، مطبعة فور فيلمز للطباعة، الصفحة رقم 70.

(13) صحيفة الشورى، السنة الثالثة، العدد رقم 124، 24 مارس 1927، الصفحة رقم 2.